ك

د. خولة حياصات

رسومات: علي الزيني

# جبل السعادة





هل تَّرَوْنَ جَبَلَ الألعابِ الّذي ورائي؟ أنا أدعو هذا الجبلَ "جبلَ السَّعادةِ"،
لكنْ قبلَ أنْ تُسيئوا فَهمي عليكمْ أنْ تَعرفوا قِصَّتي معَ هذا الجبلِ.




كباقي الأطفالِ في عمري أحبُّ مشاهدةَ التِّلفازِ وقراءةَ المجلّاتِ عنْ شخصيّاتي المفضّلةِ، وبينَ الحينِ والآخرِ أرى إعلانًا هنا أو هناكَ عن ألعابٍ رائعةٍ. تغمرني الرَّغبةُ بشرائها، لأشعرَ بالسَّعادةِ الّتي تَظهرُ على وجوهِ الأطفالِ كما في الإعلانِ.



وفي يومٍ منَ الأيّامِ ذهبتُ إلى أبي، لأطلبَ منهُ أنْ يشتريَ لي لعبةً رأيتُها في إعلانٍ. وكنتُ أظنُّ أنّهُ كعادتهِ سيقولُ لي أنَّ لديَّ ما يكفي منَ الألعابِ. إلّا أنّهُ كانَ مشغولاً جدّاً في العملِ على مشروعٍ ما، وقبلَ أنْ أبدأَ بالكلامِ قالَ لي: "إذا تركتَني أُنهي هذا المشروعَ، وتمكَّنتُ منَ الحصولِ على عقدِ هذا المشروعِ سأعطيكَ ما تريدُ دونَ سؤالٍ.". وعادَ لِلغوصِ بينَ الأوراقِ ليُكملَ عملَه.

عدتُ إلى غرفتي، وبدأتُ أفكّرُ، "كلُّ ما أريدُ!!!"..... هذهِ قائمةٌ طويلةٌ، عليَّ البدءُ بكتابةِ القائمةِ منذُ الآنَ، أمضيتُ طيلةَ اللَّيلِ أفكّرُ في كلِّ لعبةٍ رأيتُها وأدوّنُها في قائمتي.





طيلةَ الأسبوعِ التّالي، كنتُ أسألُ أبي كلَّ مساءٍ عمّا إذا حصلَ على المشروعِ أمْ لا؟.

إلى أنْ أتى يومًا إلى المنزلِ وابتسامةٌ فخورةٌ تعلو وجهَهُ، "لقدْ حصلنا على المشروعِ يا جوادُ، قلْ لي ماذا تريدُ الآنَ؟".

تفاجأ أبي بالقائمةِ الطّويلةِ الّتي أخرجتُها منْ جيبي، إلّا أنّهُ يلتزمُ دائمًا بكلِّ وعودهِ، لذا، وعلى مضضٍ وافقَ أنْ يشتريَ لي كلَّ الألعابِ الّتي في القائمةِ.





في محلِّ الألعابِ وَبَعْدَ أَنِ اشْتَرى كلَّ ما لديَّ على القائمةِ، جلسَ على ركبتهِ، نظرَ لي وقالَ: "أنا احتفظتُ بوعدي،
لكنْ لا أظنُّ أنَّ كلَّ هذهِ الألعابِ ستجلبُ لكَ السّعادةَ كما تظنُّ".

فِي الأسبوعِ الأوّلِ كنتُ سعيدًا جدًّا بكلِّ تلكَ الألعابِ، أنتقلُ منْ لعبةٍ إلى أخرى. لكنْ بعدَ عدّةِ أيّامٍ بدأتُ ألاحظُ أنَّ الاحتفاظَ بالكثيرِ منَ الألعابِ، ليسَ مُمتعًا كما كنتُ أظنُّ. فعليكَ أنْ تُمضيَ الكثيرَ منَ الوقتِ وأنتَ تفكّرُ بأيٍّ منها ستلعبُ، ومنْ ثمَّ الكثيرَ والكثيرَ منَ الوقتِ والجهدِ لترتيبِها. وإيجادُ لعبةٍ معيّنةٍ بينَ كلِّ تلكَ الألعابِ مهمّةٌ مستحيلةٌ، شعرتُ بالتّعاسةِ.





ذهبتُ لأختي الكبيرةِ حالَ عودتِها منَ العملِ لأستشيرَها، فهيَ تبدو دائمًا سعيدةً. سمعتُها تتحدّثُ إلى صديقاتِها عبرَ الهاتفِ، فهيَ قد أَنْهَتْ أوّلَ شهرِ عملٍ لها، وقدِ استلمَت راتبَها الأوّلَ. كانت تخطّطُ لِأنْ تَدْعُوَ جميعَ صديقاتِها على عشاءٍ في مطعمٍ فاخرٍ لتحتفلَ معهنَّ بأوّلِ راتبٍ لها. كانت مشغولةً فَلَمْ أَرْغَبْ في إزْعاجِها.



ذهبتُ إلى أمّي الّتي كانت مشغولةً بتحضيرِ الأطباقِ، فهيَ تحبُّ أنْ تقيمَ الولائمَ لأخوالي وخالاتي وأعمامي وعمّاتي وأبنائِهم، لا شيء يشعرُها بالسّعادةِ أكثرَ منْ ذلكَ. لم أردْ أن أقفَ في طريقِها فتركتُها.



ذهبتُ إلى أبي، الّذي كانَ يرتدي ملابسَهُ على عجلٍ، سألتُهُ: "بابا، إلى أينَ أنتَ ذاهبٌ؟" قالَ بسعادةٍ: "إلى بنكِ الدَّمِ، لأتبرّعَ بقليلٍ منَ الدَّمِ، فأنا لم أقمْ بذلكَ منْذ فترةٍ طويلةٍ، إلى اللّقاءِ".



جلستُ أفكّرُ ما العاملُ المُشتركُ بينَ كلِّ ما يجلبُ السَّعادةَ لعائلتي؟

لم يكنْ لديهِم الكثيرُ منَ الألعابِ... أهاااا وجدتُها!!!




في اليومِ التّالي كوّمتُ ألعابي في عربةٍ كبيرةٍ، وأخذتُها إلى الحديقةِ المجاورةِ لبيتِنا،
نظرتْ أمّي إليَّ باستغرابٍ، إلّا أنّها لم تقلْ شيئًا.




وحالما وصلتُ الحديقةَ، وضعتُ الكومةَ في منتصفِ الحديقةِ، ووضعتُ لافتةً بجانبِها كتبتُها ليلةَ أمسٍ، "خذْ أيَّ لعبةٍ تَرْغَبُ فيها مجّانًا".
في البدايةِ كنتُ أسألُ نفسي: "هل أخطأتُ؟ هل سأحسُّ بالتّعاسةِ بعدَ أنْ تنفدَ الألعابُ؟" لكن كُلَّ تلكَ الأسئلةِ بدأت تتلاشى وأنا أراقبُ نظراتِ السَّعادةِ على وجوهِ الأطفالِ في الحديقةِ بينما هم يقفزونَ ويلعبونَ بالألعابِ الّتي أحضرتُها أنا.



شعرتُ بالفخرِ والسّعادةِ في آنٍ واحدٍ، لم أعرفْ كيفَ لم أَكتشفْ ذلكَ الاكتشافَ الرّائعَ منْ قبلُ.



مرّتِ الأيامُ، وأردتُ أنْ أشعرَ بذلكَ الشّعورِ مرّةً أخرى، إلّا أنَّ ألعابي قدْ نفِدتْ. فكّرتُ وفكّرتُ حتّى وجدتُها.



أخذتُ عربتي، وبدأتُ أطرقُ أبوابَ الجيرانِ، واحدًا تلوَ الآخرِ، كنتُ أسألُ كلًّا منهم،

إذا ما كانت لديهِ لعبةٌ واحدةٌ فقط لم يلعبْ بها منذُ فترةٍ، ويريدُ أنْ يشاركني بها لنقومَ بتجربةٍ معًا.



وبعدَ عدّةِ ساعاتٍ كانَت لديَّ عربةٌ ممتلئةٌ بجبلٍ منَ الألعابِ، وقطارٌ منَ الأطفالِ يمشي خلفي.

ذهبنا إلى الحديقةِ ووضعتُ نفسَ تلكَ اللّافتةِ. وجلستُ أراقبُ معهم، لم أشعرْ منْ قبلُ بمثلِ تلكَ السّعادةِ.




منذُ ذلكَ الوقتِ وجبلُ السّعادةِ في منتصفِ تلكَ الحديقةِ يكبرُ ويكبرُ، وعددُ الأطفالِ الّذينَ يلعبونَ في الحديقةِ بسعادةٍ يتزايدُ. حتّى أصبحتْ مراقبةُ ذلكَ الجبلِ منْ نافذةِ غرفتي هوايتي المُفضّلةَ كلَّ صباحٍ.

كما يقولُ أبي دائمًا: "السّعادةُ كالقبلةِ، لا تستطيعُ أنْ تستمتعَ بها وحدكَ."






# النِّهايَةُ